انتفاضة 14 أكتوبر في ردفان

السلطات البريطانية خططت عشية عيد الميلاد عام 1964م لحملة عسكرية واسعة تنكيلا بأبناء ردفان

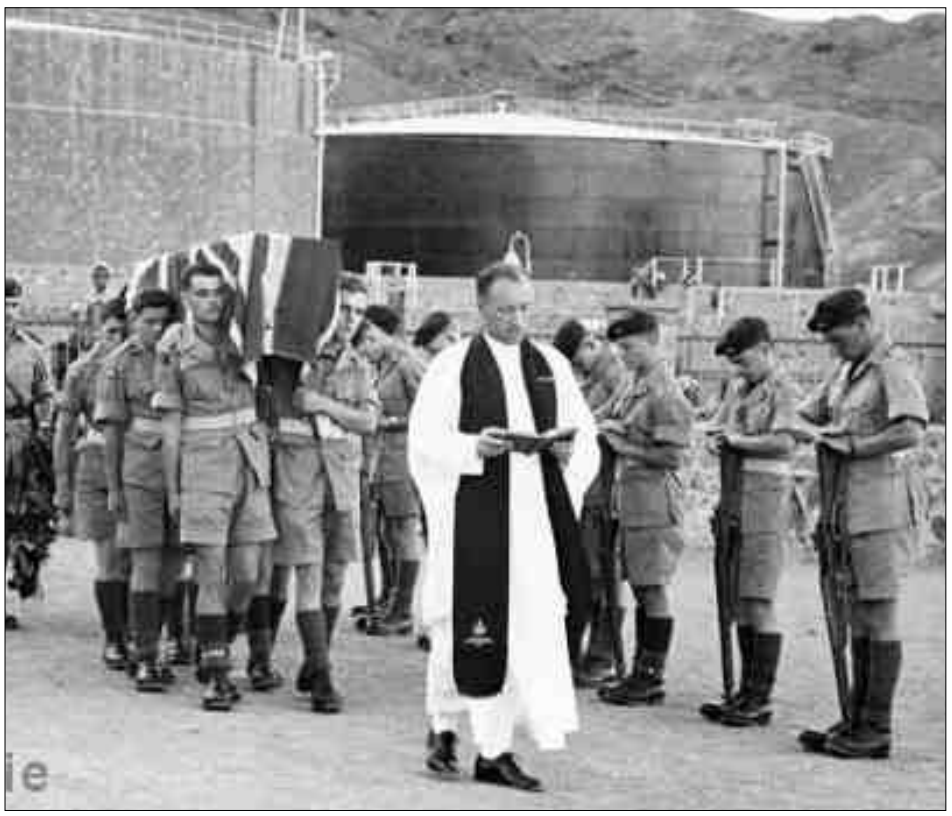

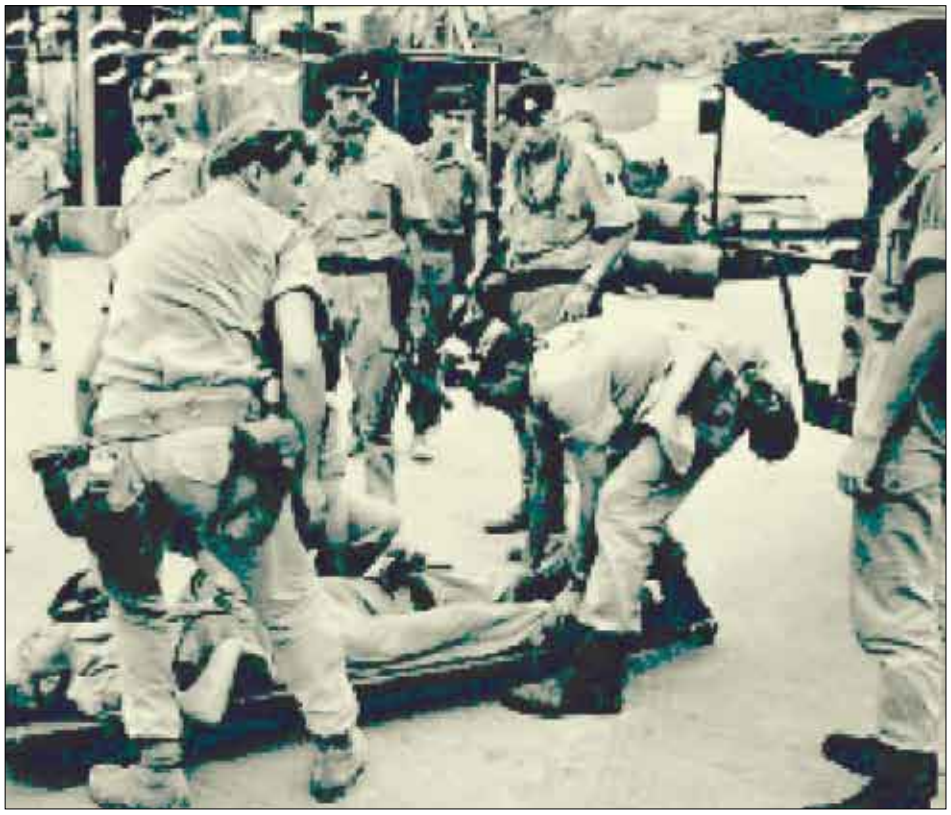

القساوة التي حاولت بها السلطات الاستعمارية سحق الانتفاضة لم تؤد إلى النصر، بل قوت تصميم المنتفضين على مواصلة الكفاح ، ولم ينفع لا تهديم القرى ولا إتلاف مزروعات الفلاحين ولا استشهاد راجح لبوزة الذي أصبح بطلا وطنياً لليمنيين

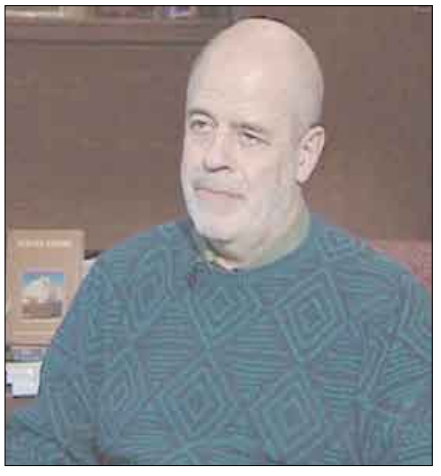

بقلم الدكتور / فيتالي ناؤمكين

اتسم بأهمية كبيرة بالنسبة لقادة الجبهة القومية تأييد جمال عبدالناصر لفكرة الكفاح المسلح. فقد عبر عبدالناصر (عن استعداده لتقديم السلاح للجبهة القومية من خلال وجود القوات المصرية المرابطة في صنعاء وتعز). وقد ساعد على اتخاذ قرار عبدالناصر مثل هذا الموقف، بلا شك، أن الانجليز والحكام العملاء للدويلات في جنوب الجزيرة العربية كانوا يساندون الملكيين في الشطر الشمالي من اليمن الذين كانوا يحاربون ضد القوات المصرية.

لقد عنى موقف عبدالناصر بالنسبة للجبهة القومية تأييداً كاملاً من قبل قيادة الجمهورية العربية اليمنية، وأخيراً افتتح في تعز مكتب الجبهة القومية، واتيحت للجبهة إمكانية بث برامج إذاعية موجهة إلى الجنوب. وعلى أراضي الجمهورية العربية اليمنية انشئت معسكرات لاجل التدريب العسكري لانصار الجبهة القومية، وأخذ الوطنيون يرسلون الاسلحة سراً إلى الجنوب.

وبعد مرور وقت قليل استطاعت الجبهة القومية المباشرة بتحقيق استراتيجيتها وكان بين اليمنيين الجنوبيين الذين حاربوا في الشطر الشمالي في الحرس الوطني عدد كبير من أبناء قبائل منطقة ردفان الجبلية الواقعة في الجزء الشمالي الغربي من جنوب اليمن على مقربة من حدود الجمهورية العربية اليمنية، اثر وقف اطلاق النار في الشمال وحدوث فوضى في نشاط الحرس الوطني عاد هؤلاء إلى ديارهم مع أسلحتهم. وإذ تخوف الانجليز من المجموعة المسلحة لأبناء ردفان أمروا الجميع بتسليم الاسلحة، ونقلوا ردفان، التي كانت قبائلها من قبل مستقلة، إلى تحت إدارة أمير الضالع شعفل وهو أحد أكثر أعوان الاستعمار ضمانة. وأثار ذلك استياء شديداً لدى قبائل ردفان التي رفضت رفضاً باتاً الاذعان للأمر، وفي 14 تشرين الأول «أكتوبر» 1963م قام أبناء ردفان برئاسة الشيخ راجح بن غالب لبوزة بانتفاضة مسلحة ضد المستعمرين وهذا اليوم دخل تاريخ شعب الجنوب اليمني كبداية للثورة المسلحة.

قدر جوليان بايجيبت، الذي كان يرأس جهاز الأمن لدى المندوب السامي البريطاني آنذاك عدد أعضاء قبائل ردفان الخمس الرئيسية بـ (35 ـ 40 ألف شخص) بينهم (6 ـ 7) آلاف شخص قادرين على القتال، رغم أنه يوجد ثمة أساس لاعتبار هذا الرقم مبالغاً فيه، وهو يعترف بأن أعضاء القبائل الردفانية كانوا مقاتلين أشداء في حرب العصابات، لقد كانوا مفطورين على القتال منذ نعومة أظافرهم، وكانوا معتادين على اعتبار حمل السلاح دلالة على بلوغ سن الرشد، وكانوا كقاعدة، قناصين بالغريزة مع مقدرة رائعة على المتابعة. وإذ كانوا معتادين على القيام بغارات وغزوات خاطفة كانوا يغيرون أماكنهم في الجبال بسرعة وفي مسافات طويلة، ونتيجة لذلك كان يصعب القبض عليهم. كما كانوا يمتازون بشجاعة بالغة، وهذا ما أبدوه إبان قتالهم تحت قصف المدفعية الثقيلة والطائرات.

ولقاء الشجاعة المتناهية في المعارك أطلق الانجليز على أبناء ردفان لقب (ذئاب ردفان الحمر).

فور بدء الانتفاضة المسلحة لجأت السلطات الاستعمارية إلى القيام بعمليات تنكيلية بحق الردفانيين لم تتكلل بالنجاح، وخططت السلطات البريطانية للقيام في عيد الميلاد عشية عام 1964م الجديد، بحملة عسكرية واسعة تحت تسمية (ناتكريكر) (كسارة اللوز).

اشتركت في العملية في البدء 3 كتائب من الجيش النظامي الاتحادي، وسرية آلية اتحادية، وفصيلة «خيالة» (على دبابات من طراز «سنتوريون»). وبطارية من مدفعية الحراسة الملكية، وفصيلتان من السرية الميدانية للمهندسين الملكيين، هذا ما مجموعة حوالي 3 ـ 4 آلاف عسكري، وبالإضافة إلى ذلك كانت القوات الجوية الملكية في خورمكسر ترسل الطائرات من أجل قصف أراضي ردفان.

ووضعت القوات البحرية الملكية تحت تصرف قواد العملية ست طائرات عمودية من طراز (فيسيكس).

لكن القساوة التي حاولت بها السلطات الاستعمارية سحق الانتفاضة لم تؤد إلى النصر، بل على العكس، قوت تصميم المنتفضين على مواصلة الكفاح. ولم ينفع لا تهديم القرى ولا اتلاف مزروعات الفلاحين ولامصرع الشيخ راجح لبوزة الذي اصبح بطلاً وطنياً لليمنيين.

وباتت ردفان بالنسبة للشعب اليمني الجنوبي رمزاً للشغف بالحرية والكرامة الوطنية والبطولة.

اثار استخدام المستعمرين الدبابات والمدفعية والطيران في ضرب المنتفضين عاصفة من الاستياء وسط سكان المنطقة وفي سائر البلدان العربية، وساعد على انتشار الكفاح المسلح إلى مناطق أخرى في الجنوب.

وحتى محمد حسن عوبلي (6) اعترف بأن طيران الانجليز ودباباتهم كانت عاجزة شأنها شأن القوات الخاصة التي حلت محلها.

ولم يؤيد تعسف المنكلين سوى عملاء الانجليز من الارستقراطية الاقطاعية ـ القبلية. فلقاء «المآثر» في جبل ردفان قام أمير الضالع بمنح البريغادير لانت الذي قاد العملية سيفاً حفرت عليه عبارة (إلى بطل ردفان).

وصمود أهالي ردفان استحث قيادة الجمهورية العربية اليمنية على تقديم مساعدة عاجلة لهم.

وفي بداية عام 1964م أخذت تصل إلى ردفان القوافل الأولى من الأسلحة وفي نفس الوقت نشطت الاذاعتان اليمنيتان الشماليتان في صنعاء وتعز وإذاعات مصر حملتها الدعائية في التنديد بإرهاب المحتلين مهيبة بسكان اليمن الجنوبية للنهوض إلى الكفاح.

على الرغم من ان ملهمي العملية التنكيلية حاولوا التظاهر بأن هذه الحملة انتهت ربيع عام 1964م بنجاح عسكري إلا أنهم اضطروا للاعتراف بأن المنتفضين استولوا مجدداً على الأرض فور مغادرة الجيش النظامي الاتحادي لها.

الانتفاضة في ردفان اعتبرها قادة الجبهة القومية بداية للثورة التحريرية المسلحة وأعلنوا أنهم يتحملون مسؤوليتها، وشرعوا بتقديم مساعدة مباشرة للانتفاضة وأرسلت الجبهة القومية إلى ردفان اعضاءها الذين اجتازوا تدريباً قتالياً في المعسكرات، وساعدت المنتفضين بالأسلحة.

←